باب المكاتبة والمذاكرة

Causerie et Correspondance.

الشعر في مصر

لقد جاء نقدكم لفوضى الادب في مصر بمناسبة تعليقكم على رثاء ابي شادي للفقيد الجليل الدكتور يعقوب صروف (راجع ص ٢٨٣ ج ٥ س ٥) — من اسطع الادلة على حاجة الادباء في العالم العربي الى مجلتكم القيمة ، لان هذه الشجاعة الادبية العظيمة المحمودة التي تضيء بها سبيل المهتدين من اندر النوادر في هذا العالم العربي المنكوب «بالمحسوبية» والمحاباة والمجاملة الى درجة مزرية بالاخلاق والشرف .

وبين الادباء في مصر من يدهشهم تعالي ادباء العراق عنهم ، ناسين ان هذا لا يرجع الى كبرياء وغطرسة في الطبع ، ولا الى غرور ممقوت ، وانما يرجع الى سبب خلقي معقول : فان الكثير من الصحف والمجلات المصرية تستهويه المجاملات . ويدين في باب الادب عامة والشعر خاصة الى نفوذ شوقي بك . وهو من نعلم جميعا في غناه غير المكتسب . وهو من اصبحنا ندرك ان حظه الادبي في هذه الدنيا الطنطنة باسمه على حساب غيره ، لا ليقال انه شاعر العالم العربي فقط بل شاعر العالم اجمع . والى هذه الغاية تتجه جميع حركاته وسكناته وروحاته وغدواته ، وهكذا جعل اساطين الادب ولا سيما المستشرقين يضحكون منه ومنا !!..

يترفع إذن ادباء العراق بحق عن المشاركة في هذه السخافات ويؤلمهم ان يروا رجال الشعر في مصر من طائفة المحافظين عقبة كأداء في طريق المجددين المخلصين وان يروا نفرا ممن ينتسبون الى التجديد يحسدون ويحاربون من هم على شاكلتهم ومن هم اولى بتعضيدهم ومؤازرتهم ! وكل هذه الاحوال الشاذة الغريبة التي لا مثيل لها بهذه الدرجة في قطر عربي آخر مما يؤدي الى

هذا التنافر ، والى السخرية احيانا من حالة الشعر والشعراء في مصر ، ويشارك العراقيين في هذه السخرية من احوال الديار المصرية ادباء المهجر على الاخص .

لنترك الحكيم زكي ابا شادي جانبا ولننظر الى حالة غيره من الادباء المجددين النابهين في مصر ، لانه اذا كان لابي شادي من ثقته بعقيدته الادبية ، ومن ايمانه بفكرة ومبادئه ورسالته الاصلاحية ما يزجيه الى الانتاج المفيد والانجاب المتواصل رغم ما يلاقيه من مقاومة ، فهناك كثيرون من الادباء الناشئين الصالحين يقتل مواهبهم اليأس وجمود الجمهور وتحزب الصحف التي تقفل انهارها في وجوههم ، وهكذا يخسر الادب العصري خسارة كبيرة من ضياع انتاجهم ، ولا تغنينا فتيلا الطنطنة بذكر شوقي وحافظ والكاشف واضرابهم من الشعراء المحافظين ... فالدفاع عن مواهب هؤلاء الناشئين الادباء فرض واجب على (لغة العرب) وعلى غيرها من المجلات الاصلاحية النزيهة .

ومن عجائب القدر — على ذكر كتابتكم عن ابي شادي — ان وفاة زعيم النيل الكبير سعد زغلول باشا انطقت في مصر جميع الشعراء المطبوعين والصانعين والمقلدين والناظمين العاثرين ، فكان المجددون من الشعراء المصريين اسبق الى اداء هذا الواجب القومي الادبي من غيرهم ، وكانوا اوفر عاطفة واصدق احساسا واغزر مادة كما دلت على ذلك قصائدهم التي نشرتها الصحف المصرية فلما جاءت حفلات الاربعين لم تنشر هذه الصحف لكبار الشعراء المحافظين شيئا باهرا على الاطلاق ... وقد نظم ابو شادي وحده طائفة من الاناشيد التلحينية والقصيد في رثاء سعد وبينها مرثيته الحائية المتناقلة التي نظمها يوم الوفاة متأججة بالعاطفة القوية وكذلك قصيدة ذكرى الاربعين ، فلم يجيء شوقي بك بمعنى يبرز به معاني ابي شادي في منظوماته بل لم يتعفف كمالم يتعفف امثاله عن الاقتباس الكثير من معانيها ومراميها ، ورغم هذا لم تخجل صحيفة (الاهرام) — احد السنة شوقي بك المعروفة — من تصديرها بمقدمة كلها شعوذة وتهريج ... ولا شك في ان شوقي بك — في اقصى ضميره — يعلم عجزه هذا . لانه اولا لم يرث سعدا باخلاص ، وثانيا قد حاول انه يستر ضعفه هذا بستار من اللغة كأنما نود ان نقرأ في شعره منظومة « مقامات الحريري » لا صورة فنية خالدة

للعاطفة الوطنية الحية والحسرة البالغة والالم الصادق ، وبدأ — عافاه الله — قصيدته بهذا البيت العجيب :

شيعوا الشمس ومالوا بضحاها وانحنى الشرق عليها فبكاها !

وليس هذا من براعة الاستهلال في شيء بل بالعكس . وما يظن فيه مراعاة للنظير انما هو مراعاة للسخف ، لان هذا البيت في مستهل القصيدة لا يناسب مجاهدا مثل سعد زغلول ولا يدرك سامعه انه رثاء لسعد بل قد يحسبه رثاء لاحدى النساء العظيمات أو لاحدى الملكات المحسنات . وكان الاولى به ان يترك هذا الوصف المؤنث الى موقف اخر في القصيدة يكون انسب من هذا . ولكن ذهنه الكليل ادركه الكبر كما افسده جنون الشهرة ، فعثر في اول النظم ... وخير ما في مقدمة قصيدته بعد ذلك المطلع المخجل منظور فيه الى قول ابي شادي :

صبغت به حمر الورود (١) وضرجت بدم بنلت مدامع لاقاح !

وتشبعت بجميل حبك غضة فتجاذبت بأريجها الفياح !

والقصيدة في جملتها خالية من كل جديد ولم تبلغ حتى منزلة قصيدة حافظ بك ابراهيم بين المحافظين دع عنك قصيدة عباس محمود العقاد او قصيدة محمود عماد بين المجددين ، وبعد هذا ينتقد شوقي شعر العقاد بانه جاف كثير الثرثرة لا حياة فيه ولا حلاوة له. ويعطف على شعر الجارم الذي جاءت مرثيته في ذكرى الاربعين خالية من كل طريف مقصورة على الفاظ مرصوفة وعلى جملة من المعاني القديمة . واذ شاء التجديد النسبي اقتبسه من نظم غيره مثل قوله:

وعقيدة لو هزت الاجبال من ذعر لما اهتزت مع الاجيال !

فانه مأخوذ من قول ابي شادي منذ سنين :

تخر الراسيات ولا سبيل الى هدم الكريم من اعتقاد !

وبعد كل هذا يعجب اولئك السادة المحافظون لتجنب معظم ادباء العرب — وفي مقدمتهم ادباء العراق — الاشتراك في المهازل الشوقية والمجاملات الفارغة

(١) الورود : جمع الورد وهو نور الشجر عامة ، وليس جمع الوردة وهو من كلام المولدين

التي لم يربح منها الادب الصحيح اية غنيمة ، بل كانت عاملا من عوامل التأخر الفكري واساءة الى نهضة الشعر في مصر والى كرامته ...

وقد تعمد بعضهم ان يرد على مثل هـذا النقد بتصغير فضل شعراء العراق زورا وبهتانا ، ويكفي في مقام الرد البليغ ان نقول : ان لاولئك الشعراء العراقيين « ذاتية » عظيمة ومبادىء محمودة وإيثارا شريفا وغيرة ادبية صادقة يخدمون بها الادب للادب لا للشهرة ولا للمجد الشخصي الزائف ، وحسبهم ذلك منزلة واعتبارا . وليس في هذه الكلمة الصريحة الخالصة ما يؤلم اللبيب البصير فصديق المرء من صدقه لا من صدقه كما قال حكيم العرب ، وسلام على من اتبع الهدى فعرف قدر نفسه .

مصر جهينة

بين القديم والحديث

ما يزال حديث بعض الادباء المحافظين — المرضى بالرغبة الدائمة في هدم كل جديد — المقارنة السخيفة بين نظيم شوقي ومن على شاكلته وبين شعر الطبقة الناشئة المجددة من شعراء العربية كايليا ابي ماضي وبشارة الخوري واحمد زكي ابي شادي ومحمود عماد وعباس محمود العقاد وجبران خليل جبران وامثالهم ، محاولين دائما الحط من منزلة الاخيرين دون ماخجل رغم اثارهم الحية الغنية عن التنويه بها .

ومن اعجب غرائبهم ادعاؤهم — حبا في الايقاع والاساءة — ان هؤلاء الذين ينتسبون الى التجديد مفلسون ، ينقل بعضهم عن كتابة البعض الاخر بغير اعتراف ولا استحياء . وان من شواهد ذلك قصيدة العقاد في سعد باشا التي عارض بها قصيدة ابي شادي في « ذكرى الاربعين » بحرا ووزنا فقد شاركه في معان بل في الفاظ كثيرة ، ولم يتعفف العقاد عن الاقتباس من مقدمة ابي شادي النثرية لرسالته الموسومة (سعد) ، وان من يتصرف هذا التصرف اولى به ان لا ينقد غيره ، وان كلتا القصيدتين (قصيدة ابي شادي وقصيدة العقاد) لاقيمة لها من الوجهة الادبية بصفة عامة ، ولا من الوجهة الشعرية بصفة خاصة . الى آخر هذا الهراء ...

ويكفي ردا على مثل هذا اللفظ — الذي هو من قبيل التخلص والدفاع

العاثر عن طريق الاحالة — ان نقول : دعونا ايها الاخوان الافاضل . بل ايها السادة الجهابذة ، من المقارنات ما بين المجددين انفسهم ، فلن يشق على القراء ان يطلعوا ويحكموا ، وتذكروا ان هـذا ليس موضوع الخلاف ما بيننا . وانما الخلاف محصور في انكم تريدون ان يبنى الادب على التهليل والدجل والتحزب والتضليل والمناداة بالقاب توزعونها على الشعراء والادباء المحافظين المغرورين محتكرين لهم تقريبا وسائل النشر ، ونحن نريد ان يبنى الادب على الانتاج المفيد والاخلاص والغيرة المثمرة والنظرات الصائبة دون مراعاة جنس او سن او دين او اسم ،وان تحترم حرية النشر حتى يستفيد الادب من وراء هذه الحرية.

فهل تصرون بعد هذا على انكم اهل الاصابة وانا نحن الواهمون المخطئون؟!

مصر الجديدة جهيزة

التفاوت في اللون والامت

كتب الينا احد ادباء البصرة يقول : استحسنت وضع كلمة التفاوت (في اللون) للافرنجية Nuance لكن للاوربيين معنى آخر معقود بناصية تلك اللفظة نفسها وهو : الاختلاف في الشيء الواحد . فيقولون مثلا : Nuance des opinions ولهم مثل هذا المعنى اي الاختلاف الدقيق في سير الاصوات والنغمات . فما اللفظ الموافق حينئذ ؟

قلنا : كما ان الافرنج استعملوا كلمتهم للدلالة على ما اشرتم اليه ، كذلك يكون استعمالنا للفظة التي ذكرناها ، فنتخذ التفاوت لجميع تلك المعاني . على انه كان للسلف لفظة اخرى تؤدي احسن التأدية لما تشيرون اليه وهي « الامت » (بفتح فسكون) . قال في القاموس : الامت الاختلاف في الشيء .والجمع امات [با لكسر] واموت [بضمتين] وكذا قال صاحب لسان العرب واصحاب سائر الدواوين اللغوية من اقدمين ومحدثين . واما اللون (مصغر اللون) فليس له ادنى صلة بالكلمة الافرنجية التي يجري الكلام عليها . واللغويون الغربيون الذين نقلوا الالفاظ العربية الى لغاتهم ذكروا الامت في لغتهم بلفظ يؤدي الحرف العربي وان لم يذكروه بالكلمة المعهودة التي اشرنا اليها ، غير انهم اصابوا المرمى. وكذا ذكرها شمس الدين سامي إلّا انها وردت مصحفة بالنون اي انها ذكرت بصورة « آنات » والصواب « إمات » .